سُورَةُ الرَّعْدِ

❁ التَّعريف العامُّ بالسّورة:

حظيتْ سورة الرَّعد بنصيبٍ وافرٍ من اختلاف العلماء في مكّيّتها ومدنيَّتها؛ وقد ذكرها السّيوطيُّ ضمن السّور المُختَلف فيها[1].

والرّاجحُ هو القول بمكيَّة السّورة كلِّها؛ فالرِّوايات الّتي ذكرت مكّية السّورة، ثم استثنت من مَكّيَّتها بعض الآيات؛ لم تَصِحَّ[2]، ويدفعه أسلوب الآيات الَّتي زعموا مدنيَّتها، والسّياق الَّذي جاءت فيه، وكذلك الاستثناء في الآية الأخيرة يدفعه أنَّها مُختتم السّورة قوبل بها ما في مُفتتحها[3].

وسورة الرَّعد هي السّورة الثّالثةَ عشرةَ من حيث ترتيبُها في المصحف الشّريف بعد سورة يوسف وقبل سورة إبراهيم، وأمّا ترتيبها النُّزوليِّ؛ فالَّذين قالوا: هي مكّيَّة لم يذكُروا موقعها من ترتيب المكّيّات[4].

وعدد آيات سورة الرّعد ثلاث وأربعون آية في العدد الكوفيِّ، وأربع وأربعون في العدد المدنيِّ والمكّيِّ، وخمس وأربعون في العدد البصريِّ، وسبع وأربعون في العدد الشّاميِّ[5].

❁ تسمية السورة ومناسبة التّسمية:

لم يُعرف لسورة الرَّعد غير هذا الاسم التّوقيفيِّ، فقالوا: إنَّ سبب تسميتها بذلك كان لذكر الرَّعد فيها في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرّعد: 13]، وهذا

(1) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/48، وللنظر في الأقوال يُرجى الرجوع إلى: الماورديّ، النّكت والعيون: 3/91، وابن الجوزيّ، زاد المسير في علم التّفسير: 3/480، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/278، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/343.

(2) كلُّ الروايات الّتي ذكرت قصة أربد بن قيس وعامر بن الطّفيل ومحاولتهما قتل النَّبيِّ ﷺ في المدينة، وأنَّها سبب نزول لتلك الآيات، كلُّها في سندها كلام طويل لضعف رُواتها. يُنظر تخريج تلك الرّوايات والحُكم عليها في: الهيثميّ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 8/41 - 43.

(3) الطّبطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن: 8/254، ودَرْوَزَة، التّفسير الحديث: 5/515.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/76، والّذين جعلوها مدنيَّةً عدّوها في النُّزول بعد سورة القتال، وقبل سورة الرّحمن، وعدّوها سابعةً وتسعين في عداد النُّزول.

(5) الدّاني، البيان في عدّ الآي، ص: 169، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/80.

ظاهر في التَّسمية، ولكنَّه لا ينهض أن يكون التَّوجيه الوحيد في ذلك، فقد وردت كلمة (الرَّعد) في سورة البقرة أيضًا.

وجه التَّسمية:

لم يرد للسورة تسمية سوى سورة الرّعد

صرَّح المفسِّر المهايميُّ برأيٍ معتبر في وجه تسمية سورة الرَّعد بهذا الاسم، فقال: "سُمّيت بها لما فيها من قوله ﷻ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرّعد: 13] الدّالِّ على الصِّفات السَّلبيَّة والثُّبوتيَّة، مع الإخبار عن الأمور الملكوتيَّة، ومع كون الرَّعد جامعًا للتَّخويف والتَّرجيَةِ، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[1].

الرّعد رمزٌ للتقابل من حيث الخوف والطّمع

وهذا ملحظٌ مُعتبر، فإنَّ الرَّعد من النّاحية العلميَّة يتشكَّل نتيجة الالتقاء بين شحنتَيْن كهربائيَّتَيْن مُتنافرتَيْن؛ أيْ: إنَّه رمزٌ للتَّقابل، وإذا كانت هذه السّورة قد حُفَّت بشتّى أصناف المُتقابلات الحسّيَّة والمعنويَّة، والإيجابيَّة والسَّلبيَّة، والدُّنيويَّة والأخرويَّة، فلا غرابة حينئذٍ في تسميَتِها بهذا الاسم.

الثنائيّات المتقابلة في سورة الرّعد

ففي كلِّ مقطع، بل في كلِّ آية تجد الثّنائيّات المتقابلة في جنباتها، فيتقابل كتاب الحقِّ المسطور مع الكون المنظور، ويتقابل رفع السّماء بغير عمد مع الاستعلاء في الاستواء على العرش، وتتقابل السّماء مع الأرض، والشّمس مع القمر، واللَّيل مع النَّهار، والجبال الرّاسية مع الأنهار الجارية، ويتقابل الزَّوجان في الثَّمرات، ويتقابل الزَّبد الذّاهب مع الماء الباقي، وقطع من الأرض المتجاورات مع المختلفات، والنَّخيل الصّنوان مع غير الصِّنوان، ويتقابل ما تغيض به الأرحام مع ما تزداده، ويتقابل الماء مع النّار، والحِلية مع المتاع.

ومن التَّقابل المعنويِّ في السّورة: تقابل السَّيئة مع الحسنة، والمغفرة مع العقاب، ويتقابل مَن أسرَّ القول مع مَن جهر به، ومَن هو

(1) المهايميّ، تبصير الرّحمن وتيسير المنّان: 1/376.

مستخفٍ باللَّيل مع من هو ساربٌ بالنَّهار، ويتقابل الغيب مع الشّهادة، ويرتبط تغيير حال القوم مع تغيير ما بأنفسهم، وتتقابل إرادة الله مع عدم ردِّها، ويتقابل الخوف مع الطَّمع تجاه البرق، وتسبيح الرَّعد حمدًا مع تسبيح الملائكة خوفًا، ويتقابل فيها دعوة الحقِّ لله مع دعوة الباطل للشّركاء، والطّوع مع الإكراه، والغدوُّ مع الآصال، والنَّفع مع الضّرِّ، والظُّلمات مع النّور، والأعمى مع البصير، والحقُّ مع الباطل، والذَّهاب مع المُكث، والاستجابة مع الإعراض، ويتقابل مَن يعلم مع مَن هو أعمى، والّذين يفرحون من أهل الكتاب بالقرآن مع مَن يُنكر بعضه، والمحو مع الإثبات في الكتاب، ونعم عقبى الدّار مع سوء الدّار، وغيرها من الثّنائيّات الظّاهرة والمُستترة.

الـرَّعــد سببٌ للماء والحياة، وسـبـب لـلـنّـار والموت

فالرَّعد عنوان المُتقابلات الثّنائيَّة الضِّديَّة الّتي ذكرت في السّورة، فكان ذلك وفاقًا وانسجامًا للاسم مع المضمون، وكان ذلك الاسم والمضمون مُمثِّلًا ومعانِقًا لمحور السّورة في مقابلة قوَّة الحقِّ لوهن الباطل، فإذا هو زاهق، فينبعث شعاع البَرقِ ليملأ الآفاق، وليزيل ظلمة اللَّيل البَهيم، فيسقي الأرض والضَّرع ليسبِّح الكون كلُّه مع تسبيحة الرَّعد؛ لذا فقد جمعت سورة البقرة بين الرَّعد والبرق في المثل المضروب في المنافقين في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: 19]، فمثَّلت حال المنافقين، وهم يتخبَّطون في ظلمات الكفر، بحال الغيث حين ينزل، وفيه أسباب الحياة وأسباب الموت، كما في إنذارهم من الوعد والوعيد، وهم يفرّون من دعوة الحقِّ.

❁ المحور الرّئيس الّذي تدور حوله السّورة:

يقول البقاعيُّ في بيان مقصود السّورة وبيان محورها الرّئيس: "وُصف الكتاب بأنَّه الحقُّ في نفسه، المُنَزل إلى النَّبيِّ ﷺ، فتارةً

يتأثَّر عنه مع أنَّ له صوتًا وصيتًا وإرعابًا وإرهابًا يهدي بالفعل، وتارةً لا يتأثَّر بل يكون سببًا للضَّلال والعَمَى، لذا كان أنسب ما فيها لهذا المقصد: الرَّعد، فإنَّه مع كونه حقًّا في نفسه يسمعه الأعمى والبصير والبارز والمُستتر، وتارةً يتأثَّر عنه البرق والمطر وتارةً لا، وإذا نزل المطر؛ فتارةً ينفع إذا أصاب الأراضي الطّيّبة، وسلمت من عاهة، وتارةً يخيب إذا نزل على السّباخ الخوّارة، وتارةً يضرُّ بالإغراق أو الصَّواعق أو البرد وغيرها"[1].

كلُّ مقاطع السّورة تتحدَّث عن مظاهر نُصرة الحقِّ وخذلان الباطل بأساليب مُتعدِّدة، سواءٌ أكان ذلك في الظّواهر الطّبيعيّة أم كان في المَثَل، أم كان في الدّارين الدّنيا والآخرة، أم كان بإحاطة عِلمِه تعالى، أم كان باشتمال قدرته للعالمَيْن: العلويِّ والسّفليِّ، أم كان بقوة الدَّليل والحُجَّة الدّامغة، أم كان بالإنعام على خَلْقه، أم كان بإظهار القوَّة والقهر، كلُّ ذلك ينطق ويصدح بفناء الباطل، وتغلُّب الحقِّ[2].

ولا شكَّ أنَّ قهر الباطلِ بقوَّة الحقِّ يحتاج إلى الأخذ بأسباب الحقِّ؛ فقد قرَّرت السّورة بوضوح سنَّة اجتماعيَّة لا تتغيَّر، ولا تتبدَّل قد ربطت بين الأسباب والنَّتائج بجملة شرطيَّة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾ [الرّعد: 11].

موضوعات سورة الرَّعد:

تناولت هذه السّورة عددًا من الموضوعات الَّتي يُنظّمها محورٌ واضح، وهي:

الأوّل: إقامة الأدلَّة المتنوِّعة على كمال قدرة الله تعالى وعظيم حكمته، تارة عن طريق التأمُّل في هذا الكون، وتارة عن طريق علمه المحيط بكلِّ شيء، وتارةً عن طريق المصائب والقوارع الّتي يُنزلها سبحانه بالكافرين.

الثّاني: إثبات أنَّ هذا القرآن من عند الله تعالى، وأنَّ الرَّسول ﷺ صادق فيما يُبلّغه عن ربِّه، والرَّدّ على المشركين فيما طلبوه من النَّبيِّ ﷺ من مطالب مُتعنِّتة.

الثّالث: تثبيت فؤاد النَّبيِّ ﷺ وتسليته عمّا لحقه من أذًى؛ وذلك لأنَّ السّورة الكريمة - كما سبق أن أشرنا - مكّيَّة، وأنَّها على الرّاجح قد نزلت في فترة اشتدَّ فيها إعراض

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/117.

(2) وقد قرّر الشّيخ عبد الحميد طهماز قريبًا من هذا، يُنظر: طهماز، الأسباب والمُسبّبات في سورة الرّعد، ص: 25.

المشركين عن دعوة الحقِّ وتكذيبهم لها، وتطاولهم على صاحبها ﷺ ومطالبتهم له بالخوارق الّتي لا يؤيِّدها عقل سليم.

الخصائص الموضوعيّة:

الأوّل: حفلت السورة بإطار عامٍّ من كثرة المشاهد الكونيّة الحسّية تعرض فيها قوَّة الحقِّ وزهوق الباطل، والّتي شملت مشاهد السّماوات، ومشاهد الأرض، ومشاهد في جوانب الأرض وكوامن الحياة؛ ليأخذ ذلك كلُّه بلبِّ القارئ، وهذا الزَّخم بتلك الموضوعات لم يتكرَّر ذِكرُه في سورة أخرى بتلك الطّريقة.

الثّاني: الحديث عن صدق المُنزَل إلى النَّبيِّ محمَّد ﷺ وتبليغه له، وذلك لتثبيت الحقِّ الّذي معه في مواجهة الباطل، حيث كثر فيها الحديث عن المُنزَل، فبدأت السّورة بتأكيد أنَّ المُنزَل حقٌّ، ثم نفت استواء العلم بالمُنزَل ممَّن عمي عنه، ثمَّ مَدحتْ أهل الكتاب الّذين يفرحون بما أُنزل على مُحمَّد ﷺ، ثمَّ ذمَّت طلبَ المشركين إنزال آيات حسيَّة للدَّلالة على صدق المُنزل عليه، ثم تحدَّثت عن عظمة القرآن في علوِّ وضوحه وهدايته، كلُّ ذلك ليتلاءم مع محور قوَّة الحقِّ في مواجهة وهن الباطل.

الثّالث: الحديث الحثيث عن تقرير مصير الإنسان المؤمن أو الكافر، سواء أكان في الدّنيا أم في الآخرة؛ مثل قوله تعالى: ﴿۞وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرّعد: 5] وغيرها من الآيات في تقرير المصير، والّتي تحسم نصرة الحقِّ وقوَّته على وهن الباطل وهزيمته.

الرّابع: حديث السّورةِ عن الحقِّ والباطل صراحة، حيث ضربت السّورة الكريمة مثالًا فريدًا بنُصرة الحقِّ على الباطل في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرّعد: 17]، وقد ورد ذِكر الحقِّ في السّورة ثلاث مرّات، والباطل مرةً واحدة، وتكرَّر ذِكْر الحقِّ والباطل بصور مجازيَّة متقابلة، مثل: (الأعْمَى والبَصيرُ، الظُّلُماتُ والنّورُ، آمنوا، وكفروا) وغيرها من دلالات قوَّة الحقِّ ووَهن الباطل.

الخصائص الأسلوبيّة:

هناك العديد من الأساليب والقضايا اللُّغويَّة الّتي ميَّزت هذه السّورة وأعطتها طابعًا خاصًّا، فمن ذلك الأمور الآتية:

الأوّل: ظاهرة التَّقابل الثّنائيَّة الّتي حفلت بها السّورة من أوَّلها إلى آخرها، في كلِّ مقطع، بل في كلِّ آية منها تجد الثّنائيّات الضِّدّية المتقابلة في جَنَباتها.

الثّاني: تميَّزت السّورة الكريمة بالتنوُّع في فواصل آياتها في الحرف الّذي تنتهي به كلُّ آية من آيات هذه السّورة، ففواصل السّورة الكريمة من سبعة أحرف، هي: حرف (الباء) في خمس عشرة آية، وحرف (الرّاء) في ثماني آيات، وحرف (اللّام) في سبع آيات، وحرف (النّون) في خمس آيات، وحرف (الدّال) في أربع آيات، وحرف (القاف) في ثلاث آيات، وحرف (العين) في آية واحدة، والَّذي يجذب القلوب، ويُشنِّف الآذان أنَّ جميع الفواصل الّتي اشتملت عليها هذه السّورة الكريمة يوقف عليه بالسُّكون مسبوقًا بحرفَيْ مدٍّ؛ هما: الألف والواو، وذلك علامة على وحدة الجَرْس في حرف الرَّويِّ وما قبله؛ لأنَّ للسُّكون بعد المدِّ وقعًا ترتاح له الأذن.

الثّالث: تفرَّدت السّورة عن غيرها من السّور بذِكْر الحروف المُقطَّعة (المر) في عقد سور (الر)، ولعلَّ ذلك عائدٌ إلى تفرُّداتها الموضوعيَّة والأسلوبيَّة، في عرض قوَّة الحقِّ ووهن الباطل بأسلوب الثّنائيّات الضِّدّيَّة؛ حتّى يشدَّ السّامعَ، ويقرع سمعه، ويذهب في ذلك كلَّ مذهب.

الرّابع: تفرَّدت سورة الرَّعد عن غيرها من السّور باشتقاقات وصيغ لم تَرِد إلّا فيها، ومن تلك الألفاظ: ﴿ٱلۡمَثُلَٰتُۚ﴾ [الرّعد: 6] و﴿ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [الرّعد: 9] و﴿تَحُلُّ﴾ [الرّعد: 31] و﴿خِيفَتِهِۦ﴾ [الرّعد: 13] و﴿رَّابِيَاۚ﴾ [الرّعد: 17] و﴿طُوبَىٰ﴾ [الرّعد: 29]، وحظيت السّورة الكريمة كذلك بألفاظٍ تفرَّدت بها عن غيرها من السّور من جهة الجَذْر والمادَّة؛ وهذه الألفاظ هي: ﴿صِنۡوَانٌ﴾ [الرّعد: 4] و﴿جُفَآءٗۖ﴾ [الرّعد: 17] و﴿ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرّعد: 13]، وإنَّ الجامع لهذه الألفاظ الثّلاثة الّتي تفرَّدت بها السّورة: أنَّها ذات اتِّصال مباشر بمحور السّورة في ضعف الباطل وهلاكه وقوَّة الحقِّ وبقائه، ثمَّ إنَّنا نجد أنَّ تلك الألفاظ الثّلاثة لها اعتلاق مباشر بالرَّعد، فالرَّعد المُتمثِّل بالقرآن هو قوَّةٌ وحياة لِمَن استجاب له، وضعفٌ وموتٌ لِمَن تركه ﴿صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾،

وكذلك خالق الرَّعد شديد المِحال، وكذا الرَّعد نجد دوره في المطر، ليجلّي النَّفع في الحقِّ الماكث في الأرض، وليمحق، ويذهب الباطل ﴿جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17] بسيل المطر النّاتج عنه.

المناسبة بين سورة الرّعد وسورة يوسف:

أولًا: زخرت السّورتان بالعديد من الخصائص المُشتركة وضوابط القرآن المكّيّ وخصائصه الموضوعيَّة، وأوّلها تقرير العقيدة، وكذلك افتُتحت السّورتان بالحروف المُقطّعة ﴿الٓرۚ﴾ [يوسف: 1]، ﴿الٓمٓرۚ﴾ مُنوِّهَةً بعدها بشأن القرآن الكريم، وأكَّدت السّورتان على وحدة الرِّسالة والرُّسل ووحدة دعوتهم وحقيقة نعمة الله تعالى على البشر بإرسال الرُّسل.

ثانيا: ذَكر الله سُبحانه في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: 105]، فأجْمَلَ سبحانه الآيات السَّماويّة والأرضيَّة في هذه الآية من سورة يوسف، ثُمَّ جاء بها مُفَصَّلة في سورة الرَّعد أتمَّ تفصيل في مواضع مُتعدّدة للتَّأكيد على أنَّ الكون كتاب مفتوح ينطق بقدرة الله وعظمته، كما أنَّه أشار في سورة يوسف إلى أدلَّة التَّوحيد بقوله: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: 39]، ثُمَّ فَصَّل الأدلّة في سورة الرَّعد بإسهاب لم يُذكَرْ في سالفتها[1].

ثالثًا: في نهاية سورة يوسف يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ١٠٢ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: 102 - 103]، وفي مطلع سورة الرّعد قال: ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فالّذي أوحاه إليه؛ كما أشار في سورة يوسف ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ﴾ [يوسف: 102] هو الّذي أنزله في كتابه المذكور في سورة الرَّعد ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2].

رابعًا: في سورة يوسف ورد قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٠٧﴾ [يوسف: 107]، وجاء في سورة الرَّعد ما يُؤَكِّدُ هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ﴾ [الرَّعد: 6]، وفي قوله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرَّعد: 13].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/80، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 13/60.
(2) السُّيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص: 97.

خامسًا: في سورة يوسف جاء ذِكر الرَّسول ودعوته إلى اللّه على بصيرة وهدًى في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 108]، وفي سورة الرَّعد ذكر دعوة الرَّسول، وأشار إلى هدايته في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرَّعد: 7]، كما ذَكرَ في كِلْتا السّورتيْن أخبار الماضين مع رسلهم، وأنَّهم لاقوا منهم ما لاقوا، وأخذهم اللّه أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزيَ على الكافرين، والنَّصر لرسله والمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾ [يوسف: 110]، وقوله في سورة الرَّعد: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الرَّعد: 30] وفي ذلك تسلية لرسوله ﷺ وتثبيتٌ لقلبه[1].

والحقُّ أنَّه إذا كان محور هذه السّورة يقوم على إظهار هذا الصّراع الأزليِّ بين الحقِّ والباطل، وأنَّه لا بدَّ لأهل الحقِّ من أسباب يسلكونها حتَّى يصلوا إلى ثمرة جهدهم؛ فإنَّ مجيء سورة الرَّعد بعد عرض قصَّة يوسف عليه السلام لا يحتاج إلى مزيد تكلُّفٍ في الرَّبط بينهما، فإنَّ سورة يوسف عليه السلام قد أخذت على عاتقها عرض هذا الصِّراع الطَّويل بين الحقِّ، والباطل، حتّى انتصر الحقُّ في النِّهاية بعد أن تحقَّقت أسبابه، واكتملت نتائجه.

المناسبة بين سورة الرّعد وسورة إبراهيم:

وأمّا عن مجيء سورة إبراهيم عليه السلام بعد الرّعد؛ ففيه الوجوه الآتية:

أوَّلًا: أنَّه تعالى قد ذكر في سورة الرَّعد أنَّه أنزل القرآن حُكمًا عربيًّا، ولم يُصرِّح بحكمة ذلك، وصرَّح بها في سورة إبراهيم.

ثانيًا: أنَّه ذَكَر في سورة الرَّعد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرّعد: 38]، وفي سورة إبراهيم ذَكَر أنَّ الرُّسل قالوا: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [إبراهيم: 11].

ثالثًا: أنّه تعالى قد ذَكر في سورة الرَّعد أمره عليه السلام بالتوكُّل على اللّه، وفي سورة إبراهيم حكى عن إخوانه المُرسَلين أمرهم بالتّوكُّل عليه جلَّ شأنه.

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 13/60.

رابعًا: اشتملت سورة الرَّعد على تمثيل الحقِّ والباطل، واشتملت سورة إبراهيم على ذلك أيضًا.

خامسًا: ذكر تعالى في سورة الرَّعد رفعَ السّماء بغير عمد ومدِّ الأرض، وتسخير الشّمس والقمر، وذَكر في سورة إبراهيم نحو ذلك.

سادسًا: ذكر في سورة الرَّعد مكر الكفّار، وذكر مثله في سورة إبراهيم، وذكر من وصفه ما لم يذكر هناك[1].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 13/122.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»